(تحرير الأنفس)

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس: 1-10].

وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ آتِ نَفسي تَقْوَاها، وزَكِّها أَنت خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنتَ وَلِيُّها ومولاها...».

أيها الإخوة: في أكثرَ من **أربعين** موضعاً يتحدث القرآن الكريم عن الجهاد في سبيل الله وعن المجاهدين، وفي **مئات** الأحاديث الشريفة تتحدث السنة المطهرة عن الموضوع ذاته.

ومواضع القرآن والسنة تتحدث عن **أربعة** أنواع من الجهاد؛ فجهاد النفس أولها، وجهاد الشيطان ثانيها، وجهاد الكفار ثالثها، وجهاد المنافقين رابعها. وجهاد النفس والشيطان هما الأصل لجهاد الكفار والمنافقين.

وجهاد النفس أربع مراتب:

أولها: **أن تجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق** الذي لا فلاح ولا سعادة في معاشك ومعادك إلا به.

وذنوبُ العباد كلُّها مرجعُها إلى أمرين؛ جهلٍ وظلم، وإنما يُدفَع الجهلُ بالعلم، ويُدفَع الظلمُ بمجاهدة النفس والذكر.

لما سأل سيدنا موسى عليه السلام الخضرَ أن يتبعَه على أن يُعلّمَه قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ أجابه الخضر بقوله: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ في دلالة واضحة أن العلم محتاج إلى الصبر، والصبر محتاج إلى مجاهدة النفس.

والمرتبة الثانية: **أن تجاهدها على العمل بالعلم**، وإلا فمجرد العلم بلا عمل لا ينفع.

ألّف الحافظ العَلَم الخطيب البغدادي كتاباً نفيساً عَنوَنه "**اقتضاء العلمِ العملَ**"، مما قال فيه: (العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يُعَدُّ عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً، والعلم يراد للعمل كما العمل يراد للنجاة، وقيل: العلم والد والعمل مولود، فلا تأنس بالعلم ما كنت مقصِّراً في العمل ولكن اجمع بينهما، وإن قلّ نصيبك منهما).

والمرتبة الثالثة: **أن تجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه**، وإلا كنتَ من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيّنات. وقد جاء في الحديث النبوي الشريف الكثيرُ الكثيرُ من تعليم الجاهل وتذكير الغافل وإجابة السائل.

قال رسول الله ﷺ: «بلّغوا عني ولو آية» [البخاري]

والمرتبة الرابعة: **أن تجاهدها على الصبر على مشاقّ الدعوة إلى الله وأذى الخلق، وتتحمل ذلك كلّه لله.**

ولك في رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنة، واذكر أنهم آذوه وأغرَوه وهدّدوه وحاصروه وقاطعوه وهجّروه، وأرجفوا واستهزؤوا به، وقاتلوه ليترك الدعوة إلى الله ودلالة الخلق على الحق وهو ﷺ صابر صامد محتسب مقبلٌ غيرَ مدبر.

فجاهِد نفسَك الضعيفةَ كما جاهد ﷺ نفسَه الشريفة لتحذوَ حذوه، وتسلكَ دربه، وتستنَّ بسنته، وترقى بمتابعته ﷺ.

إذا استكمل العبد هذه المراتبَ الأربعةَ من مجاهدة نفسه في **العلم والعمل والتعليم والصبر عليها** صار من الرّبّانيين، فمن علم وعمل وعلّم وصبر فذاك يُدعَى عظيماً في ملكوت السماوات.

قرِّرُوا أن تجاهدوا أنفسكم لتحرِّروها من موبقاتها وتجمّلوها بكمالاتها، فتَربحوا وتُربحوا، ولا تتركوها مهملة تمضي بكم إلى ما تريد فتوردَكم ما لا تريدون.

والحمد لله رب العالمين